مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند المعاصرين

ماهر حسين حصوة*

الملخص

تتناول هذه الورقة الجهود التي بذها المفكرون المعاصرون من أجل بيان مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران. وكان من الواضح وجود مشكلة في تحديد دلالة مصطلح مقاصد القرآن وأهمية هذا المصطلح، مما يرتب على هؤلاء المفكرين مسؤولية الوصول إلى قدر من التوافق على تحديد المقاصد الأساسية للقرآن الكريم ودورها في تقويم وتوجيه وبناء المعرفة والتواصل الثقافي وتحقيق الحضور الحضاري، والبناء على المشترك الإنساني. وتخلص الورقة إلى استعراض نموذج لمقاصد العمران الحضاري في أعمال مجموعة من المفكرين المعاصرين، وتحديداً: محمد رشيد رضا، والطاهر بن عاشور، وعلال الفاسي، وسيد قطب، وأحمد الريسوني.

الكلمات المفتاحية: مقاصد القرآن، البناء الحضاري، العمران، الفكر الحضاري.

Intents (*Maqasid*) of the Gracious Qur'an in Building Civilization and Development

Maher Haswah

Abstract

This paper deals with the efforts exerted by modern scholars to clarify the intents and purposes (Maqasid) of the Gracious Qur'an in building civilization and development. It was clear that there is a problem in determining the meaning of this concept and its significance, which call upon scholars to discuss and make some consensus in identifying the basic intents of the Qur'an and their role in the evaluation, guidance, knowledge building, the cultural linkages, the civilizational take off, the achievement of civilizational presence and building on human commonalities.

The paper concludes with reviewing a model of the intent of building civilization (Umran), as it pertains to civilizational thought addressed by certain contemporary scholars, specifically: Muhammad Rashid Rida, Al-Tahir Ibn Ashour, Allal Al-Fassi, Sayyid Qutb and Ahmad Al-Rissouni.

Keywords: Intents of the Qur'an (Maqasid), Civilizational building, *Umran* (Civilization), Civilizational thought.

---

* دكتوراه في الفقه وأصوله، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٦م، أستاذ مشارك للفقه وأصوله في كلية القانون بجامعة العين للعلوم والتكنولوجيا– دولة الإمارات العربية المتحدة. البريد الإلكتروني: maherhaswa@yahoo.com

تم تسلم البحث بتاريخ ٢٠١٦/١٠/١٥م، وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٥م.

مقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً على نعمة هذا الكتاب الكريم الذي فتح به الله أعيناً عمياً، وآذاناً صُماً، وقلوباً غُلفاً، والذي هدانا به من ضلالة، وأرشدنا من غواية، والصلاة والسلام على مَن فَقه مقاصد كتاب ربه، فكان لنا القدوة والأسوة؛ فهماً، وسلوكاً، ومنهجاً.

يشتمل البحث على ثلاثة أقسام رئيسة، أولها يحمل عنوان: "تعريف مقاصد القرآن الكريم وأهميتها"، مُبيِّناً معنى مقاصد القرآن عند المعاصرين، وإشكالية المصطلح لـمَن تناولوا دراسة مقاصد القرآن، بَدءاً بمحمد رشيد رضا، وانتهاءً بعلماء العصر الحديث، فضلاً عن بيان أهمية مقاصد القرآن. وثانيها موسوم بـ: "جهود المعاصرين في بيان مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران"؛ إذ يستعرض ما قام به كل من: محمد رشيد رضا، وابن عاشور، وعلال الفاسي، ومحمد الغزالي، وطه جابر العلواني، وجاسر عودة. أمَّا القسم الثالث الذي يتناول نموذجاً لمقاصد القرآن المتعلقة بالجانب العمراني فعنوانه: "مقصد تقويم الفكر عند المعاصرين"؛ إذ يستعرض هذا المقصد عند كل من: محمد رشيد رضا، وابن عاشور، وعلال الفاسي، وسيد قطب، وأحمد الريسوني.

ويهدف البحث إلى إبراز جهود المعاصرين في بيان مقاصد القرآن الكريم، ولا سيما مقصد القرآن في البناء الحضاري والعمران، محاولاً معالجة إشكاليات المصطلح التي أفرزت في الظاهر تبايناً في تحديد مقاصد القرآن، وإظهار مدى أهمية التوافق في تحديد مقاصد القرآن الأساسية وأثرها في التقويم، والتوجيه، والبناء المعرفي، والصلة الحضارية، والنهوض العمراني، وتحقيق الشهود الحضاري والمشترك الإنساني.

حظي موضوع مقاصد الشريعة باهتمام كبير من المعاصرين، وقد تمثل ذلك في إنشاء مؤسسات تعنى بمقاصد الشريعة، مثل: مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية التابع لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ومقره لندن، ومركز المقاصد للدراسات والبحوث بالرباط. وكان هذان المركزان قد عقدا مؤتمراً متخصصاً عنوانه: "مقاصد القرآن الكريم"، وذلك بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية (شعبة الدراسات الإسلامية) في جامعة

محمد الخامس بالرباط في شهر أيار من عام ٢٠١٥م، ثم طُبعت أعمال المؤتمر في كتاب من منشور مؤسسة الفرقان بلندن عام ٢٠١٦م. وقد أفدت كثيراً من بعض بحوث المؤتمر في كتابة هذا البحث، ولا سيما أن مقاصد القرآن الكريم المتعلقة بالبناء الحضاري والعمران لم تلقَ الاهتمام اللازم، فجاء هذا المؤتمر ليسهم إسهاماً طيباً في إعلاء مقاصد القرآن من هذا الجانب.

ويمزج البحث بين كل من: المنهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي، محاولاً تحديد المعالم الرئيسة التي تُلخِّص توجه المعاصرين لدى استعراضهم مقاصد القرآن الكريم المتعلقة بالبناء الحضاري والعمران، ومقصد تقويم الفكر، فضلاً عن نقل الكثير من الفقرات المنتقاة من أقوالهم فيما سُطر من كتبهم، وهي بالعشرات، لتأكيد تلك المعالم التي أفرزها البحث.

أولاً: تعريف مقاصد القرآن الكريم وأهميتها

١. تعريفات المعاصرين لمصطلح "مقاصد القرآن":

عرَّف عبد الكريم حامدي هذا المصطلح الذي وافقه عليه أحمد الريسوني، قائلًا: "هي الأغراض العليا الحاصلة من مجموع أحكام القرآن."[١] وقد ضمَّن هذا المصطلح المقاصد العامة للشريعة؛ إذ قال: "هي الغايات التي أُنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد، فالغايات المراد بها المعاني والحكم المقصودة من إنزال القرآن، وهذه الغايات تهدف إلى تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل."[٢]

أمَّا هيا ثامر مفتاح فعرَّفته بأنه: "الثمرات العامة، والأهداف الكلية، والغايات الجامعة التي تدل عليها جملة متعددة من الآيات القرآنية."[٣]

---

[١] حامدي، عبد الكريم. **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨م، ص٤٧.

[٢] المرجع السابق، ص٢٩. انظر أيضاً:
– الريسوني، أحمد. **مقاصد المقاصد**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص٢٧ وما بعدها.

[٣] مفتاح، هيا ثامر. "مقاصد القرآن الكريم عند الشيخ ابن عاشور"، **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة قطر، عدد٢٩، ٢٠١١م، ص٢٩.

وعند تتبع ما سطره المعاصرون في مقاصد القرآن نجد أن ثمة إشكالية نبَّه لها طه جابر العلواني، تتمثل في الخلط بين مفهوم "مقاصد القرآن الكريم" بالمعنى المشار إليه وموضوعات القرآن الكريم، أو المحاور الرئيسة التي يدور عليها. وقد أفضى هذا الخلط إلى تباين في تحديد تلك المقاصد؛ فأغلب ما صُرفت إليه دلالة الاستعمال أنه يرد بمعنى المحاور الكبرى والقضايا الأساسية التي تتناولها سور القرآن وآياته،[٤] والتي حدَّدها محمد رشيد رضا بعشرة مقاصد،[٥] وابن عاشور بثمانية مقاصد،[٦] وعبد الكريم الحامدي[٧] والقرضاوي[٨] بسبعة مقاصد، والريسوني بستة مقاصد،[٩] والغزالي بخمسةٍ سمَّاها محاور

---

[٤] ابن حماد، مولاي عمر. "أصول التفسير ومقاصد القرآن"، **مؤتمر مقاصد القرآن الكريم**، تحرير: محمد سليم العوا، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة، ط١، ٢٠١٦م، ص٢٥٤.

[٥] هي: ١- أركان الدين الثلاثة: الإيمان بالله تعالى، عقيدة البعث والجزاء، والعمل الصالح. ٢- النبوة والرسالة. ٣- بيان أن دين الإسلام هو دين الفطرة، والعقل، والفكر، والعلم، والحكمة، والبرهان، والحجة، والضمير، والوجدان، والحرية، والاستقلال (محاسن الإسلام). ٤- الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني. ٥- مزايا الإسلام العامة. ٦- النظام السياسي. ٧- الإصلاح المالي. ٨- نظم الحرب وفلسفتها أو السياسة الدولية. ٩- قضايا المرأة (إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية). ١٠- هداية الإسلام في تحرير الرقيق. انظر:
- رضا، محمد رشيد. **الوحي المحمدي**، د.م: مؤسسة عز الدين، ط٣، ١٤٠٦هـ، ص١٩١-٣٦١.

[٦] هي: ١- إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. ٢- تهذيب الأخلاق. ٣- التشريع، وهو الأحكام خاصة وعامة. ٤- سياسة الأُمة، وهي باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأُمة وحفظ نظامها. ٥- القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، والتحذير من مساويهم. ٦- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها. ٧- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير. ٨- الإعجاز بالقرآن؛ ليكون آية دالة على صدق الرسول. انظر:
- ابن عاشور، محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر، ط ١٩٨٤م، ج١، ص٤٠-٤١.

[٧] قصرها الحامدي على سبعةٍ، هي: ١- الإصلاح العقدي. ٢- الإصلاح الفكري. ٣- الإصلاح الاجتماعي. ٤- الإصلاح التشريعي. ٥- الإصلاح المالي. ٦- الإصلاح الحربي. ٧- الإصلاح السياسي. انظر:
- حامدي، **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، مرجع سابق، ص٤٨.

[٨] يميل القرضاوي إلى عدم حصرها في عدد معين، ويُقرِّر كثرتها وتعدُّدها، قائلاً: "لقد دعا القرآن إلى كثير من المبادئ والمقاصد التي لا تصلح الإنسانية بغيرها، ونجتزئ هنا سبعةً منها ممَّا أكده القرآن، وكرره، وعني به أشد العناية، وهي: ١- تصحيح العقائد والتصورات. ٢- تقرير كرامة الإنسان وحقوقه. ٣- عبادة الله وتقواه. ٤- تزكية النفس البشرية. ٥- تكوين الأسرة وإنصاف المرأة. ٦- بناء الأُمة الشهيدة على البشرية. ٧- الدعوة إلى عالم إنساني متعاون." انظر:
- القرضاوي، يوسف. **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**، القاهرة: دار الشروق، ط٦، ٢٠٠٦م، ص٧٣.

[٩] ذكرها الريسوني في كتابه "مقاصد المقاصد"، وهي: ١- مقصد توحيد الله وعبادته. ٢- مقصد الهداية الدينية والدنيوية للعباد. ٣- مقصد التزكية وتعليم الحكمة. ٤- مقصد الرحمة والسعادة. ٥- مقصد إقامة الحق والعدل. ٦- مقصد تقويم الفكر. انظر:

القرآن،[١٠] والنورسي بأربعة مقاصد،[١١] وعلال الفاسي[١٢] والعلواني[١٣] وجمال الدين عطية[١٤] بثلاثة مقاصد، وطه عبد الرحمن بمقصد واحد؛[١٥] لذا يجب ضبط مصطلح "مقاصد القرآن" بوصفه مصطلحاً، تجنباً للخلط في الاستعمال.

ولعل التباين في تحديد عدد مقاصد القرآن الكريم يعزى إلى أسباب عدَّة، منها:

– عدم استقرار دلالة المصطلح إبان تناوله من المعاصرين؛ فقد أطلق بعضهم على القضايا الأساسية التي تناولها القرآن الكريم لفظ "المقاصد" كما هو الحال عند محمد رشيد رضا.

– اجتهاد العالِم في دمج مقاصد عدَّة ضمن محور واحد، أو مقصد واحد يتفرع منه مقاصد عدَّة؛ ما قد يجعله منطلقاً لتفريعات متعددة.

– الريسوني، **مقاصد المقاصد**، مرجع سابق، ص٢٨ وما بعدها.

[١٠] استعمل الغزالي مصطلح "محاور القرآن"، وهو أدق الألفاظ في بيان المراد، وقد أراد به الموضوعات الأساسية، وهي: ١– الله الواحد. ٢– الكون الدال على خالقه. ٣– القصص القرآني. ٤– البعث والجزاء. ٥– التربية والتشريع. انظر:

– الغزالي، محمد. **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، القاهرة: دار الشروق، د.ت، ص٥.

[١١] يقول بديع الزمان النورسي: "أعلم أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية أربعة: ١– التوحيد. ٢– والرسالة. ٣– والحشر. ٤– والعدالة مع العبودية، فيصير سائر المسائل وسائل هذه المطالب." انظر:

– النورسي، بديع الزمان سعيد. **المثنوي العربي النوري**، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، اسطنبول: سوزلر، ١٩٩٤م، ص٧٥.

– النورسي، بديع الزمان سعيد. **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: دار سوزلر، ط٢، ١٩٩٤م، ص٢٣.

[١٢] يقول علال الفاسي: "المقصد العام من نزول القرآن هو هداية الخلق، وإصلاح البشرية، وعمارة الأرض." انظر:

– الفاسي، علال. **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، بيروت–القاهرة: دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٩٩٣م، ص٨٨.

[١٣] وهذه المقاصد العليا الحاكمة –بحسب تسمية العلواني– هي: التوحيد، والتزكية، والعمران. انظر:

– الرفاعي، عبد الجبار. "حوار مع طه جابر العلواني تحت عنوان مقاصد الشريعة"، **مجلة آفاق التجديد**، دمشق: دار الفكر، ط٢، ٢٠٠٢م، ص٩٧.

[١٤] سمَّاها جمال الدين عطية مقاصد الشريعة العالية، وهي: عبادة الله، والاستخلاف، وعمارة الأرض. انظر:

– عطية، جمال الدين. **نحو تفعيل مقاصد الشريعة**، دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠١م، ص١٠٥.

[١٥] سُمِّي مشروع تخليق المقاصد، وهو يهدف إلى منح الجانب الخلقي الأولوية الاعتبارية في تحديد المقاصد، بناءً على هدف التشريع، وهو إخراج إنسان صالح؛ لذا يعد علم المقاصد علماً أخلاقياً، موضوعه الصلاح الإنساني. انظر:

– عبد الرحمن، طه. "مشروع تجديدي علمي لمبحث مقاصد الشريعة"، **مجلة المسلم المعاصر**، عدد١٠٣، ٢٠٠٢م، ص٤١.

– تأثُّر العالِم بالمنطلقات الفكرية التي تجعله يُركِّز على مقصد دون الآخر؛ فالوقوف على سبب التحديد يلزم منه استقراء جملة ما كتبه العالِم لتعرُّف هذا السبب. ومن المعاصرين الذين أبانوا عن سبب تحديدهم هذه المقاصد طه جابر العلواني؛ إذ قال: "ومقاصده (القرآن) شيء، والمحاور شيء آخر. فمحاور الخطاب هي عبارة عن الموضوعات الأساسية التي دارت آيات الخطاب القرآني حولها؛ كالتوحيد، رسالة النبي، قصص الأنبياء، الآخرة، وما شاكل ذلك." أمَّا المقاصد عنده فهي التي تغياها القرآن بحيث تمثل غاياته الأساسية التي لا يمكن الإخلال بها، والتي يقول عنها: "هذه الغايات تَوَصلنا إلى أنها ثلاث؛ هي: التوحيد، والتزكية، والعمران." وقد بيَّنَّا تحديدنا للمقاصد الثلاثة العليا على قاعدة أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون والإنسان والحياة، وأنه استخلف الإنسان في الأرض، وأوكل إليه مهمة إعمارها؛ فما يجري على الأرض هو حاصل هذه العلاقة بين الله الخالق المستخلِف، والإنسان المستخلَف، والكون المسخَّر الذي هو ميدان الخلق الإلهي والتسخير والإرادة والعمران، وميدان العقل الإنساني القادر على تحقيق هذا العمران. فالتوحيد يمثل حق الله تعالى على العباد، ومن دونه لا يمكن أن يتحقق شيء من المنظومة كلها، وهو يمثل أيضاً القصد الأعلى من رسالات الأنبياء كافة. وأمَّا التزكية فتعد أهم صفات الإنسان المستخلَف التي تجعله أهلاً للقيام بدور الخليفة، وقادراً على عمارة الأرض؛ وذلك أن الكون لم يُخلق عبثاً، ولم يوجد سُدًى، وإنما خُلِق ليُعمَّر. والقرآن الكريم دارت سوره وآياته حول هذه المقاصد الثلاثة، التي إن أدمجت ساوت العبادة، وإذا فك مفهوم العبادة فإنه سيصل إلى هذه الثلاثة، وبها ترتبط سائر القيم الأخرى."[١٦]

ويرى جاسر عودة –بعد أن استعرض مقاصد القرآن الكريم عند محمد رشيد رضا والقرضاوي والغزالي– أن المقاصد منظومة معقدة، وأنها ليست على نسق أولي بسيط، مثل: الهرم، والشجرة، والدائرة، وأنها –بالتعبير المنظومي المعاصر– أقرب ما تكون إلى ما يُعرَف بالمنظومة الشبكية المختلفة الأنساق والأبعاد؛ أي إنه يمكن النظر إليها من بُعْد الضرورات والحاجيات والتحسينيات على نسق هرمي تتبوأ فيه الضرورات قاعدة الهرم،

[١٦] الرفاعي، **حوار مع طه جابر العلواني تحت عنوان مقاصد الشريعة**، مرجع سابق، ص٩٧.

والحاجيات وسطه، والتحسينيات قمته. ويمكن أيضاً النظر إليها من بُعْد العام والخاص والجزئي على نسق هرمي مقلوب تتبوأ فيه الجزئيات أسفل الهرم، وتبنى عليها أبواب الخصوصيات، ثم تبنى العموميات على الخصوصيات. وكذا يمكن النظر إليها من بُعْد الأسس على نسق شجري تتبوأ فيه الأسس موقع الساق من الشجرة، والتفاصيل موقع الفروع، مثل: أسس رشيد رضا العشرة، وأسس القرضاوي السبعة، وأسس العلواني الثلاثة. وكل ذلك جائز في التصور، وعليه من الاستقراء أدلة، ولا يلزم من صحة أحد الأنساق الآنف ذكرها بطلان الآخر، وذلك مقتضى تعدُّد الأبعاد والأنساق، والأبعاد أقرب إلى المرونة في التجديد، والتطوير في البناء المقاصدي المعاصر المنشود.[١٧]

وقد أوافق جاسر عودة على بُعْد النسق الشجري، ولكن يتعيَّن أولاً بيان الأسس التي تحتل موقع الساق من الشجرة. ولعل ما سطّره علال الفاسي وطه جابر العلواني وجمال الدين عطية، وتوافقوا عليه، هو موقع الساق من الشجرة؛ لأن التوافق على الأسس يتيح رد الفروع إلى هذه الأصول، واستشراف رؤية كلية تمثل جملة من المعالم الحضارية. والحقيقة أن التدقيق في جملة آراء العلماء التي نقلنا يؤكد حقاً أنهم اتفقوا جميعاً على المقاصد العليا (التوحيد، التزكية، العمران)، وإن بمسميات أخرى، وأضافوا إليها ما حدَّدوه من عدد يمكن عدّه موقع الفروع من الشجرة كما سيتضح تباعاً في المباحث القادمة.

٢. أهمية مقاصد القرآن الكريم:[١٨]

يمكن إجمال أهمية هذه المقاصد فيما يأتي:

أ. الإحاطة بالمقاصد العامة للتنزيل هي قاعدة متينة من قواعد التدبر، تعصم من شطط التأويل، وزيغ الفهم، وانسداد الأفق، وضيق الحظيرة؛ لذا جاء النعي القرآني على

[١٧] عودة، جاسر. **الاجتهاد المقاصدي من التصور الأصولي إلى التنزيل العملي**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٣م، ص٣٦.

[١٨] ممَّن أجاد وأفاد في بيان أهمية المقاصد:

- الريسوني، قطب. **النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر**، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠١٠م، ص٤٩٢ وما بعدها.
- الريسوني، **مقاصد المقاصد**، مرجع سابق، ص٢٧ وما بعدها.
- العلواني، طه جابر. **مقاصد الشريعة**، بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠١م، ص١٥.

أقوام أعرضوا عن التدبر، فإذا هم في غفلة عن الأسرار، وشغل عن المقاصد، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد: ٢٤). وفي ذلك يقول الشاطبي: "التَّدَبُّرُ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَنِ الْتَفَتَ إِلَى الْمَقَاصِدِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ؛ فَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُمْ تَدَبُّرٌ."[١٩]

وقد أكد ابن عاشور أن أعظم وظيفة للمفسر هي الوصول إلى كليات التشريع، وعاب على المفسرين انشغالهم بتقصّي معاني القرآن عن انتزاع كليات التشريع.[٢٠]

ب. الكشف عن مقاصد القرآن يُعِين على فهم مرادات الوحي في العقائد والأخلاق والأحكام على نحوٍ يستميل -بحسب تعبير قطب- النفوس إلى حظيرة الإيمان الجازم، ويسوقها إلى اقتفاء الهداية المودعة في النظم حتى يتحقق معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ (آل عمران: ١٣٨)، علماً بأن عدم إعمال المقاصد قد حوَّل كثيراً من الجهود عن مسارها كما هو الحال في فهم الأحكام الظاهري، والفهم الفلسفي الجدلي الكلامي في العقائد والأخلاق.

ت. صرف جهود التفسير في وجوه العلم المشروع والبحث المثمر الذي يجعل المقاصد والحكم نَصْب عينيه، وينزوي عن كل قول جاف متجانف عن كتاب الله تعالى، مثل: الإسراف في حل الألفاظ، وإعراب الجمل، والغوص على النكت الفنية، والتوغل في التوجيهات العلمية. فقد انتقد الشاطبي المنحى التفسيري الذي يُغرِق تفسير الآية بمعانٍ بعيدة ومسائل معقدة ليست من مقاصد القرآن في شيء؛ إذ قال: "إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ تَجَاوَزُوا فِي الدَّعْوَى عَلَى الْقُرْآنِ الْحَدَّ، فَأَضَافُوا إِلَيْهِ كُلَّ عِلْمٍ يُذْكَرُ لِلْمُتَقَدِّمِينَ أَوِ الْمُتَأَخِّرِينَ، مِنْ عُلُومِ الطَّبِيعِيَّاتِ، وَالتَّعَالِيمِ (من الرياضيات والهندسة)، وَالْمَنْطِقِ، وَعِلْمِ الْحُرُوفِ (تفسير المتصوفة الإشاري)... مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يُقْصَدْ فِيهِ تَقْرِيرٌ لِشَيْءٍ مِمَّا زَعَمُوا."[٢١] وبالمثل، فقد انتقد أحمد الريسوني صرف الجهود في غير المقصود كما في تأليف

---

[١٩] الشاطبي، إبراهيم بن موسى. **الموافقات**، تحقيق: مشهور حسن، الخبر: دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٠٩.

[٢٠] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، المقدمة الأولى، ص١٣.

[٢١] الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٢، ص٢.

كتب عن مبهمات القرآن، فقال: "الاشتغال بغير المقصود إعراض عن المقصود... ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه."[٢٢]

ث. وضع الأحكام القرآنية في سياقها العام ونصابها الصحيح، وحسم مادة التلاعب بالمضمون القرآني مفردةً وجملةً وسياقاً؛ فمقاصد القرآن الكريم تُرسِّخ المنهجية العلمية. وفي ذلك يقول طه جابر العلواني: "المنهجية كناظم معرفي يردُّ الكثرة إلى الوحدة، والمتشابه إلى المحكم، تتطلب وعياً معرفياً على مناهج التعامل مع النصوص، انطلاقاً من المعرفية المنهجية."[٢٣]

ج. صياغة تصور شامل عن مقاصد التنزيل الكلية لكي تكون مرجعاً حاكماً على فهم القرآن كله؛ وذلك أن من أصول التدبر إرجاع مقاصد السور والمقاطع والآيات إلى المقاصد الكلية، وإرجاع الأغراض الكبرى إلى القرآن؛ بحثاً عن الترابط في سياق جامع ناظم، تُشَدُّ إليه الروابط القرآنية من كل حدب وصوب.

وتأسيساً على ذلك، فقد حذَّر القرآن الكريم من القراءة التشتيتية التي تُفقِد النص قيمته وأثره وفاعليته في حياة الإنسان، ولا سيما أن المشركين وافقوا بعضه، وخالفوا بعضه الآخر، فلم ينتفعوا منه بشيء[٢٤]، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ (الحجر: ٩٠-٩١). وفي ذلك يقول أبو السعود: "والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية -التي هي تفريقُ الأعضاءِ من ذي الروحِ المستلزمُ لإزالة حياته، وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذَيْنِ ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيضُ من المِثليات- للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم."[٢٥]

وهذا التصور الشامل لمقاصد القرآن يُعِين على تحديد رؤية كلية كونية حضارية توصل رسالة القرآن والإسلام إلى الناس؛ فقد اجتهد عبد الحميد أبو سليمان -انطلاقاً

[٢٢] الريسوني، **مقاصد المقاصد**، مرجع سابق، ص٣٠.

[٢٣] العلواني، **مقاصد الشريعة**، مرجع سابق، ص٤٨.

[٢٤] الدغامين، زياد. "التكامل المعرفي في القرآن"، **المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية**، مج٩، عدد١/ أ، ٢٠١٣م، ص١٦٦.

[٢٥] أبو السعود، محمد بن محمد. **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)**، بيروت: دار إحياء التراث، ج٥، ص٩٢.

من مقاصد القرآن الكريم- في بيان الرؤية الكونية القرآنية الحضارية، قائلاً: "إن الرؤية الإسلامية الكونية هي رؤية توحيدية غائية أخلاقية إعمارية خيرية حضارية تُعبِّر عن الفطرة الإنسانية السوية، وهي بذلك، وبالضرورة، رؤية علمية سننية تسخيرية تهدف إلى جعل عناصر الفطرة الإنسانية السوية في بؤرة الوعي الإنساني؛ لتهدي مسيرة الحياة الإنسانية وترشدها؛ كي يحقق الإنسان ذاته السوية في أبعادها الفردية والجماعية، ويستجيب في وسطية واعتدال لحاجتها ومتعها، على مدى أفق الوجود الإنساني بكل أبعاده الروحية والإبداعية العمرانية."[٢٦]

وهذه الرؤية تُحدِّد طبيعة رؤية المسلم للعالم، وكذا طبيعة التعامل مع الآخرين. يقول عبد الحميد في هذا الصدد: "إن ما يميز الرؤية الكونية القرآنية الإعمارية أنها، على العكس من الرؤية المادية العدوانية العنصرية، تجعل من الاختلاف والتمايز الإنساني والكوني رؤية توحيدية تكاملية؛ تتكامل فيها مختلف الكيانات، لتكوين علاقات متداخلة متكاملة إيجابية توحيدية، هي لب الفطرة الإنسانية السوية، ومناط وجودها، واستخلافها في الأرض، فلا مجال فيها للمغالاة الفردية، ولا للتطرف الجماعي، بل هي في كل أبعادها فطرة تكامل وتوازن واعتدال وسلام."[٢٧]

ح. مقاصد القرآن تبدو أشبه بالمبادئ الدستورية، وأساساً للنموذج المعرفي، ويمكن أن تمثل تربة خصبة للمشتركات الإنسانية. وقد بيَّن طه جابر العلواني أهمية المقاصد القرآنية العليا الحاكمة، ورأى أنها تعد منطلقاً لصوغ النموذج المعرفي المهيأ للإجابة عن الأسئلة الفلسفية المعروفة باسم "النهائية". والأسئلة النهائية، بحسب عبد الوهاب المسيري، هي مجموعة الأسئلة التي تتصل بالخالق -جل شأنه- والإنسان والكون والحياة، والإجابة عنها هي التي تشكل "رؤية الإنسان الكلية" وتصوره الكامل لما تعلقت به الأسئلة النهائية، فإذا صحَّت الإجابة صحَّت الرؤية، وإلا اضطربت بها مسيرة الإنسان في الحياة.[٢٨]

---

[٢٦] أبو سليمان، عبد الحميد. **مختصر كتاب الرؤية الكونية الحضارية القرآنية**، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٤م، ص٢٤.

[٢٧] المرجع السابق، ص٣٠.

[٢٨] انظر:

ويقول العلواني في بيان أهمية مقاصد القرآن الكريم المتعلقة بتأسيس أرضية جامعة للمشترك الإنساني: "المقاصد العليا الحاكمة يمكن أن تمثل بجملتها أو ببعضها على الأقل مشتركات إنسانية، فما من أُمة تُخيَّر بين التزكية والتدسية والتدنس فتختار التدسية والتدنس على التزكية، وما من أُمة تُخيَّر بين العمران والفساد والخراب إلا وتختار العمران."[٢٩]

ثانياً: جهود المعاصرين في بيان مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران

من مقاصد القرآن الأساسية التي تمثل مركز الساق من الشجرة مقصد (عمارة الأرض)، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ (هود: ٦١).

ولا يتحقق هذا الإعمار من دون فهم حقيقة الكون وغاية الإنسان فيه؛ فإعماره ليس قاصراً على الشعائر التعبدية، أو ما يشمل مظاهر العبادة المعنوية، ولا على مظاهر الإعمار المادي أيضاً؛ وذلك أن الإعمار عملية شاملة لكل ما يُيسِّر سبل الحياة الإنسانية على الصعيدين المادي والمعنوي، وهو جانب من معاني العبادة.[٣٠] وفي ذلك يقول زياد الدغامين: "إن التعمير المادي يسير مع التعمير المعنوي في آنٍ واحد، لا ينقطع أحدهما عن الآخر، فكما ذكر البيت المعمور وهو بيت الله الحرام في مكة، ذكر "واستعمركم فيها"، فكأن حياة الإنسان لا تستقيم بنوع واحد من العمارة."[٣١]

ويؤكد عمر عبيد حسنة مقصد البناء الحضاري والعمراني للقرآن الكريم بقوله: "موضوع القرآن صياغة الإنسان، ووظيفة الإنسان القيام بأعباء الاستخلاف والإعمار عن طريق اكتشاف سنن التسخير، وحسن التعامل معها، لذلك طلب القرآن: النظر،

– المسيري، عبد الوهاب. **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م.

– العلواني، **مقاصد الشريعة**، مرجع سابق، ص١٥.

[٢٩] المرجع السابق، ص١٧٧.

[٣٠] الدغامين، **التكامل المعرفي في القرآن**، مرجع سابق، ص١٦٦.

[٣١] الدغامين، زياد. "إعمار الكون في ضوء نصوص الوحي"، **مجلة إسلامية المعرفة**، عدد٥٤، خريف ٢٠٠٨م، ص٢٧.

والتدبر، والملاحظة، والاختيار، وإدراك علل الأشياء، وأسبابها، وامتد في ذلك إلى استشراف المستقبل كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ۝٨٨﴾ (ص: ٨٨)." ويؤكد حسنة أيضاً أهمية أن يستفيق المسلمون من سباتهم المعرفي والعلمي في حقول العلوم المختلفة لتحقيق مقصد القرآن من الإعمار.[٣٢]

وفيما يأتي بعض مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند المعاصرين:

١. مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند محمد رشيد رضا:

قال محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ (الجمعة: ٢): "فآياته المتلوة هي سور القرآن المرشدة إلى سننه في الأكوان، والتزكية هي التربية بالعمل وحسن الأسوة، والكتاب هو الكتابة التي تخرج العرب عن أميتهم، والحكمة هي العلوم النافعة الباعثة على الأعمال الصالحة، وما يسمى في عرف شعوب الحضارة بالفلسفة، فجميع مقاصد القرآن وبيان السُّنة له تدور على هذه الأقطاب الثلاثة."[٣٣]

ثم شرع في بيان ما أسماه مقاصد القرآن، وهي بمعنى المحاور والموضوعات التي جاءت مفصلة في القرآن الكريم، والتي ترجع إلى تلكم الأقطاب الثلاثة، وهي العشرة التي سبق ذكرها.

ومن الملاحظ اهتمام محمد رشيد رضا بالجانب العمراني والحضاري؛ فقد جعل مقصد الآيات القرآنية الإرشاد إلى سنن الله المتعددة في الكون، وجعل مقاصد القرآن الكريم العلم الذي يبني هذه الحضارة، وبيَّن أن الحكمة هي تعلُّم العلوم النافعة التي تُحقِّق مصالح الإنسان.

٢. مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند محمد الطاهر بن عاشور:

---

[٣٢] الغزالي، محمد. **كيف نتعامل مع القرآن**، مصر: دار نهضة مصر للنشر، ط١٤، ٢٠١٤م، المقدمة، ص٣٠.

[٣٣] رضا، **الوحي المحمدي**، مرجع سابق، ص١٩٢.

اهتم ابن عاشور بمقصد العمران؛ إذ قال: "إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابًا لِصَلَاحِ أَمْرِ النَّاسِ كَافَّةً رَحْمَةً لَهُمْ لِتَبْلِيغِهِمْ مُرَادَ اللَّهِ مِنْهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، فَكَانَ الْمَقْصِدُ الْأَعْلَى مِنْهُ صَلَاحَ الْأَحْوَالِ الْفَرْدِيَّةِ، وَالْجَمَاعِيَّةِ، وَالْعُمْرَانِيَّةِ. فَالصَّلَاحُ الْفَرْدِيُّ يَعْتَمِدُ تَهْذِيبَ النَّفْسِ وَتَزْكِيَتَهَا، وَرَأْسُ الْأَمْرِ فِيهِ صَلَاحُ الِاعْتِقَادِ لِأَنَّ الِاعْتِقَادَ مَصْدَرُ الْآدَابِ وَالتَّفْكِيرِ، ثُمَّ صَلَاحُ السَّرِيرَةِ الْخَاصَّةِ، وَهِيَ الْعِبَادَاتُ الظَّاهِرَةُ كَالصَّلَاةِ، وَالْبَاطِنَةُ كَالتَّخَلُّقِ بِتَرْكِ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالْكِبْرِ.

وَأَمَّا الصَّلَاحُ الْجَمَاعِيُّ فَيَحْصُلُ أَوَّلًا مِنَ الصَّلَاحِ الْفَرْدِيِّ إِذِ الْأَفْرَادُ أَجْزَاءُ الْمُجْتَمَعِ، وَلَا يَصْلُحُ الْكُلُّ إِلَّا بِصَلَاحِ أَجْزَائِهِ، وَمِنْ شَيْءٍ زَائِدٍ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ ضَبْطُ تَصَرُّفِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ عَلَى وَجْهٍ يَعْصِمُهُمْ مِنْ مُزَاحَمَةِ الشَّهَوَاتِ وَمُوَاثَبَةِ الْقُوَى النَّفْسَانِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْمُعَامَلَاتِ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ بِالسِّيَاسَةِ الْمَدَنِيَّةِ.

وَأَمَّا الصَّلَاحُ الْعُمْرَانِيُّ فَهُوَ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِك إِذْ هُوَ حِفْظُ نِظَامِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَضَبْطُ تَصَرُّفِ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَقَالِيمِ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ عَلَى وَجْهٍ يَحْفَظُ مَصَالِحَ الْجَمِيعِ، وَرَعْيُ الْمَصَالِحِ الْكُلِّيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحِفْظُ الْمَصْلَحَةِ الْجَامِعَةِ عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمَصْلَحَةِ الْقَاصِرَةِ لَهَا، وَيُسَمَّى هَذَا بِعِلْمِ الْعُمْرَانِ وَعِلْمِ الِاجْتِمَاعِ."[٣٤] ثم شرع في بيان محاور القرآن الكريم وموضوعاته التي تخدم تلك المقاصد، وقد أسماها مقاصد القرآن.

ومن مظاهر اهتمام ابن عاشور بمقصد الحضارة والعمران ما أورده في الفائدة الثامنة من ذكر القصص القرآني؛ إذ قال: "أَنْ يُنْشِئَ فِي الْمُسْلِمِينَ هِمَّةَ السَّعْيِ إِلَى سِيَادَةِ الْعَالَمِ كَمَا سَادَهُ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِهِمْ لِيَخْرُجُوا مِنَ الْخُمُولِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ إِذْ رَضُوا مِنَ الْعِزَّةِ بِاغْتِيَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَكَانَ مُنْتَهَى السَّيِّدِ مِنْهُمْ أَنْ يَغْنَمَ صُرَيْمَةً، وَمُنْتَهَى أَمَلُ الْعَامِّيِّ أَنْ يَرْعَى غُنَيْمَةً، وَتَقَاصَرَتْ هِمَمُهُمْ عَنْ تَطَلُّبِ السِّيَادَةِ حَتَّى آلَ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنْ فَقَدُوا عِزَّتَهُمْ فَأَصْبَحُوا كَالْأَتْبَاعِ لِلْفُرْسِ وَالرُّومِ، فَالْعِرَاقُ كُلُّهُ وَالْيَمَنُ كُلُّهُ وَبِلَادُ الْبَحْرَيْنِ تَبَعٌ لِسِيَادَةِ الْفُرْسِ، وَالشَّامُ وَمَشَارِفُهُ تَبَعٌ لِسِيَادَةِ الرُّومِ، وَبَقِيَ الْحِجَازُ وَنَجْدٌ لَا غُنْيَةَ لَهُمْ عَنِ الِاعْتِزَازِ بِمُلُوكِ الْعَجَمِ وَالرُّومِ فِي رِحْلَاتِهِمْ وَتِجَارَتِهِمْ."[٣٥]

---

[٣٤] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج١، ص٣٨.

[٣٥] المرجع السابق، ج١، ص٦٧.

وذكر من فوائد القصص، كما في الفائدة العاشرة، ما ملخصه أن إيراد تلك القصص يحصل منه بالتبع فوائد في تاريخ التشريع والحضارة، وذلك يُفتّق أذهان المسلمين للإلمام بفوائد المدنية، مثل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (يوسف: ٧٦)، في قراءة مَن قرأ (دِينِ) بكسر الدال؛ أي: في شرع فرعون يومئذٍ، فعلمنا أن شريعة القبط كانت تُخوِّل استرقاق السارق... .[٣٦]

وتتجلَّى مظاهر اهتمام ابن عاشور بهذا المقصد في تفسير آيات كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ (الذاريات: ٥٦-٥٨). يقول ابن عاشور في دلالات معنى "المتين": "الْمَتِينُ: كَمَالٌ فِي قُوَّتِهِ بِحَيْثُ لَا يُعَارَضُ وَلَا يُدَانَى. فَالْمَعْنَى أَنَّهُ الْمُسْتَغْنِي غِنًى مُطْلَقًا فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، فَلَا يَكُونُ خَلْقُهُ الْخَلْقَ لِتَحْصِيلِ نَفْعٍ لَهُ، وَلَكِنْ لِعِمْرَانِ الْكَوْنِ، وَإِجْرَاءِ نِظَامِ الْعُمْرَانِ بِاتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي يَجْمَعُهَا مَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)."

- قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ (النمل: ٢٢). يقول ابن عاشور في معرض تفسيره للآية الكريمة: "ابْتِدَاؤُهُ بِأَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ تَنْبِيهٌ لِسُلَيْمَانَ بِأَنَّ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ مَمَالِكَ وَمُلُوكًا تُدَانِي مُلْكَهُ أَوْ تَفُوقُهُ فِي بَعْضِ أَحْوَالِ الْمُلْكِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَثَلًا لَهُ، كَمَا جَعَلَ عِلْمَ الْخَضِرِ مَثَلًا لِمُوسَى عليه السلام لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِانْتِهَاءِ الْأَمْرِ إِلَى مَا بَلَغَهُ هُوَ. وَفِيهِ اسْتِدْعَاءٌ لِإِقْبَالِهِ عَلَى مَا سَيُلْقَى إِلَيْهِ بِشَرَاشِرِهِ لِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْمَطْلَعِ فِي الْكَلَامِ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ أَحْوَالِ الْمَمَالِكِ وَالْأُمَمِ مِنْ أَهَمِّ مَا يُعْنَى بِهِ مُلُوكُ الصَّلَاحِ لِيَكُونُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ بِمَا يُفَاجِئُهُمْ مِنْ تِلْقَائِهَا، وَلِتَكُونَ مِنْ دَوَاعِي الِازْدِيَادِ مِنَ الْعَمَلِ النَّافِعِ لِلْمَمْلَكَةِ بِالِاقْتِدَاءِ بِالنَّافِعِ مِنْ أَحْوَالِ غَيْرِهَا وَالِانْقِبَاضِ عَمَّا فِي أَحْوَالِ الْمَمْلَكَةِ مِنَ الْخَلَلِ بِمُشَاهَدَةِ آثَارِ مِثْلِهِ فِي غَيْرِهَا. فَأَخْبَارُ الْأَقْطَارِ مِمَّا تُنْفِقُ فِيهِ الْمُلُوكُ أَسْمَارَهَا، وَتُرَقِّمُ بِبَدِيعِ هَالَاتِهِ أَقْمَارَهَا، وَتَسْتَفِيدُ مِنْهُ حُسْنَ السِّيَرِ، وَالْأَمْنَ مِنَ الْغِيَرِ، فَتَسْتَعِينُ عَلَى الدَّهْرِ بِالتَّجَارِبِ.. وَتَسْتَدِلُّ بِالشَّاهِدِ عَلَى الْغَائِبِ."[٣٧]

---

[٣٦] المرجع السابق، ج٢٧، ص٢٩.

[٣٧] المرجع السابق، ج١٩، ص٢٥٠.

- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (النمل: ٨٨). يقول ابن عاشور في معرض تفسيره للآية الكريمة: "هَذَا اسْتِدْعَاءٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ لِتَتَوَجَّهَ أَنْظَارُهُمْ إِلَى مَا فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنْ دَقَائِقِ الْحِكْمَةِ وَبَدِيعِ الصَّنْعَةِ. وَهَذَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي أُودِعَ فِي الْقُرْآنِ لِيَكُونَ مُعْجِزَةً مِنَ الْجَانِبِ الْعِلْمِيِّ يُدْرِكُهَا أَهْلُ الْعِلْمِ، كَمَا كَانَ مُعْجِزَةً لِلْبُلَغَاءِ مِنْ جَانِبِهِ النَّظْمِيِّ."[٣٨]

٣. مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند علال الفاسي:

يرى علال الفاسي أن المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كُلِّفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل والعمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (البقرة: ٣٠): "فهذه الآية تدل على أن المقصود من استخلاف الإنسان في الأرض هو قيامه بما طوق به من إصلاحها، والمراد بالإصلاح هنا إصلاح أحوال الناس لا مجرد صلاح العقيدة. وهذا الإصلاح هو الذي دعا إليه الرسل، وظلوا يعملون على تربية الناس عليه عن طريق التذكير بالفطرة، وما جُبِل عليه الإنسان بصفته إنساناً ذا عقل ولغة وتكليف، فلنسمع لموسى يقول لأخيه هارون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، وهذا ما يمكن تسميته إصلاح الفساد السياسي. وشعيب يقول لأهل مدين: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (الأعراف: ٨٥)، وهذا يندرج ضمن الإصلاح للفساد الاقتصادي. ونادى القرآن بالإصلاح للفساد الاجتماعي عند قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ (محمد: ٢٢-٢٣)."[٣٩]

---

[٣٨] المرجع السابق، ج٢٠، ص٤٨.

[٣٩] الفاسي، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، مرجع سابق، ص٤٥-٤٦ بتصرف.

٤. مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند محمد الغزالي:

حرص الشيخ الغزالي -رحمه الله- على تجلية مقصد القرآن في البناء الحضاري والعمران في جميع كتبه، وأظهرها ما سطره في كتابيه: (كيف نتعامل مع القرآن؟)، و(المحاور الخمسة للقرآن الكريم)؛ إذ قال: "هذا القرآن يُكلِّم الرجال ليعيد صياغتهم، ويُكلِّم الأحياء ليُحقِّق استجابتهم، ويُكلِّم العقلاء ليُوجِّه وعيهم، فيجعل منهم أُمة تحمل رسالتها... وفعلاً حملت الأُمة رسالتها؛ لأنها فهمت المقصود من إرسال المعجزة الأخيرة، وأدركت أبعادها، وتدبرت مقاصدها، معجزة إنسانية تتصل بإحياء المواهب الإنسانية، وتفجير الطاقة البشرية لهذا الخلق، وإعادة بناء وتشكيل العقل الإنساني."[٤٠]

ويظهر اهتمام الغزالي بهذا المقصد من زوايا عدَّة، منها:

أ. تناول المحاور التي يدور عليها القرآن الكريم في كتاب (المحاور الخمسة للقرآن الكريم)، واعتبار هذه المحاور تتناسق بصورة تكاملية لتبني أُمة حضارية. "فالمحاور التي يقوم عليها القرآن ليست مقسمة على أساس أن هذا المحور لكذا، وذاك المحور لكذا، ولكن نحن بجهدنا العقلي نجيء لآية واحدة أو لطائفة من الآيات يمكن أن تكون في قضية واحدة، فنرى أن هذه القضية الواحدة تماسكت الآيات فيها على عدَّة محاور من الكلام عن الله، والكون، والجزاء، والنفس البشرية، والإيمان، والأخلاق تماسكاً غريباً لا يُعرَف إلا في هذا القرآن، وهذا يجعلنا نُقدِّم التصور الحضاري للقرآن على أنه يبني أُمة، ويفتح أبصارها على الكون، ويمنحها الرؤية المتميزة التي تُمكِّنها من الشهود الحضاري على مختلف الأصعدة."[٤١]

ب. الدعوة إلى إدراك السنن الآلهية في الأنفس والآفاق (مثل: سُنَّة التدرج، وسُنَّة الأجل، وسُنَّة التداول الحضاري، وسنن المدافعة، وسنن التسخير)،[٤٢] وتبيان أهمية إدراكها. "السنن هي القانون المطرد، فلقد تحدَّث القرآن عن السنن التي تُسيِّر الحياة والأحياء، وهي قوانين تحكم الحركة التاريخية والاجتماعية والنفسية؛ سنن سقوط الأُمم

---

[٤٠] الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن**، مرجع سابق، ص٤٧.

[٤١] الغزالي، **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، مرجع سابق، ص٦٥.

[٤٢] الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن**، مرجع سابق، ص١٨٤-٢١١.

ونهوضها، وغالباً ما يجيء في أعقاب القصص القرآني، وأكد القرآن أن هذه السنن جارية على الناس جميعاً، وأن اكتشافها والتعامل معها أمر لا بُدَّ منه للشهود الحضاري (عمارة الأرض، والقيام بأعباء الاستخلاف الإنساني، الشهادة والقيادة للناس)؛ استجابةً لقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)... واكتشاف السنن هو الذي مكَّن من التقدم والتحكم، وغفلة المسلمين عنها كانت سبب الانحطاط والسقوط والتخلف، وبالتالي أصبحوا مسخَّرين بدل أن يكونوا مسخِّرين."[٤٣] يقول عبد الحليم عويس في مقدمته لكتاب الغزالي: "المقصد العام من وجود القصص القرآني أن يفهم المسلمون سنن الله الكونية والاجتماعية، وألا يحاولوا القفز من فوق السنن، وأن يعوا أنهم لن يُمكَّنوا في الأرض إلا إذا تفاعلوا التفاعل الصحيح مع هذه السنن... وأن يفهموا أيضاً أن التاريخ ذاكرة ضرورية للحاضر والمستقبل، وهو (الكمبيوتر) الذي يُغذِّي الحاضر بالمعلومات الصحيحة، فيمكن الوصول إلى القرار المستقبلي الصحيح."[٤٤]

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى وجود دراسات قيِّمة تعنى باستكشاف سنن الله في النفس -كما دعا إليها الشيخ محمد الغزالي وأكد- مثل سُنَّة الإصلاح كما في دراسة التيجاني عبد القادر: "الإصلاح في القرآن: استكشاف المفهوم وبناء النظرية"،[٤٥] فضلاً عن وجود دراسات حاولت استخلاص القيم الحضارية في قصص القرآن الكريم، مثل دراستي زكريا علي الخضر: "القيم الحضارية في قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ"،[٤٦] و"القيم الحضارية في قصة سيدنا شعيب".[٤٧]

ت. الدعوة إلى الانتقال من إدراك السنن القرآنية إلى عملية التسخير.[٤٨]

ث. انتقاد قَصْر الاهتمام بالقصص القرآني على الناحية البلاغية، وعدم إعمال الدرس الحضاري من هذه القصص، وإدراج هذا القصور في أزمة الفكر المتعلقة بانقلاب الوسائل إلى غايات، والغفلة عن غايات القرآن الكريم.

---

[٤٣] المرجع السابق، ص١٨٤.

[٤٤] المرجع السابق، ص٦.

[٤٥] نُشِرت في مجلة إسلامية المعرفة، العدد٦٦، ٢٠١١م.

[٤٦] نُشِرت في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، م٦، العدد١، ٢٠١٠م.

[٤٧] نُشِرت في مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، م٤٣، ملحق١، ٢٠١٦م.

[٤٨] الغزالي، **المحاور الخمسة للقرآن الكريم**، مرجع سابق ، ص٩٦.

ج. انتقاد قَصْر دلالة الفقه على المعنى الفقهي الاصطلاحي، بالرغم من أن عملية الفقه استُخدِمت في القرآن الكريم لمعنى أوسع كثيراً من المعنى الاصطلاحي الفقهي، هو الفقه الحضاري.[٤٩]

ح. إدخال عمارة الأرض والبناء الحضاري في مفهوم الإيمان. "إن الكون في الفلسفة القرآنية نفيس القيمة غالٍ عند صاحبه، لا لأنه بذل فيه جهداً، أو دفع ثمناً، كلا (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)؛ إن غلاءه راجع إلى دلاته على خالقه، فقد بُنِي لبنةً لبنةً بالحق، وانتظمت أرجاءَه قوانينُ محكمة، وتجلَّى فيها المجد الآلهي في أبهى صوره. قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ (الأحقاف: ٣)... ولن يحسن معرفةَ الله امرؤٌ يعمى عن سنن الحق، ولن يخدم رسالاتِ الله جهولٌ بهذه السنن، وإنه لمن المزعج أن يعيش سواد المؤمنين في هذه السنين العجاف مسخَّراً في الأرض، والمفروض أن الله سخَّر له ما في السموات والأرض."[٥٠]

ويؤكد الغزالي هذا المعنى بقوله: "إن انفتاح المرء على الكون، وفقهه لما فيه، واستمكانه منه، هو التوجيه القرآني الأوحد لجملة العقائد والمعالم التي يقوم الدين عليها."[٥١] ويتابع في موضع آخر قائلاً: "إن دراسة الكون نهج قرآني واضح لبناء الإيمان أولاً، ولدعمه وحراسته ثانياً، ولمنافع البشر ومتاعهم ثالثاً، ومع ذلك فإن أجيالاً كثيفة غلقت مشاعرها دون الدراسة... إن الإيمان –كما يفهم من القرآن– قدرة على الحياة في جميع دروبها، قدرة علمية ومادية يصحبها تطويع كل شيء لإرضاء الله وابتغاء وجهه."[٥٢] ومن المقولات الجميلة المنقولة عن الغزالي في هذا الصدد قوله: "إن بناء المصانع يعدل بناء المساجد... والمسلم مُكلَّف بإصلاح كل عمل، أو عمل كل صالح."[٥٣]

---

[٤٩] المرجع السابق، ص١٠٩.

[٥٠] المرجع السابق، ص٥٣.

[٥١] المرجع السابق، ص٥٦.

[٥٢] المرجع السابق، ص٦١.

[٥٣] نُسِبت إلى الغزالي في أكثر من موقع إلكتروني في كتابه "الطريق من هنا"، وبعد بحثٍ في الكتاب المذكور لم أظفر بها.

خ. ربط معنى الحكمة الواردة في السياق القرآني بالجانب الحضاري والعمراني؛ إذ يرى الغزالي أن الحكمة التي وردت في أكثر من عشرين موضعاً في القرآن مفردة أو مع الكتاب، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ (آل عمران:٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ (لقمان: ١٢)، هي ما يستفاد من التعاليم القرآنية؛ أي وضع الأمر في موضعه. يقول في ذلك: "إن الميزان هو الناحية العملية، والحكمة هي الناحية النظرية في ذلك، فمجموعة الآيات التي وردت فيها الحكمة والميزان تعطينا منهجاً أن الأُمة لا بُدَّ أن يكون لها من الرؤية القرآنية التي تستنبطها أو تستدركها من مجموع الآيات سياسة قرآنية: كيف تحكم الشعب؟ وكيف تنزلها على واقع الناس؟ أي: كيف ينزل الفكر القرآني على واقع عملي؟"[٥٤]

ويمكن تلخيص ما قاله الغزالي في معنى الحكمة بلفظ آخر، هو تكوين الرؤية، وهذه الرؤية هي ثمرة وخلاصة لإعمال المقاصد التي تحمل الجانبين: الفكري والنظري.

٥. مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند طه جابر العلواني:

سبق أن بيَّنَّا المقاصد العليا الحاكمة عند العلواني، التي جعلها في ثلاثة مقاصد (التوحيد، والتزكية، والعمران)، والتي خصَّ الجانب العمراني والبناء الحضاري منها ليكون القدح المعلى في المنظومة القرآنية. وقد ظهر اهتمام العلواني بهذا الشأن في أمور عدَّة، منها:

أ. إدخال الاستخلاف والإعمار في مفهوم العبادة. "فالعبادة التي جعلها الله غاية الحق من إيجاد الخلق أمر مركب من العبادة بمعناها الخاص والاستخلاف والنصرة والإعمار، فهي ليست أمراً بسيطاً لا يشتمل على معنى واحد، والله أعلم."[٥٥]

ب. إدخال فروض الكفايات وكل متطلبات التزكية والعمران ضمن مفهوم العبادة المجتمعية.[٥٦]

---

[٥٤] الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن**، مرجع سابق، ص١٦٤.

[٥٥] العلواني، **مقاصد الشريعة**، مرجع سابق، ص١٨٣.

[٥٦] المرجع السابق، ص١٨٢.

ت. تضمين العلواني مفهوم الإيمان الجانب العمراني والحضاري، مُعلِّقاً على حديث أَبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ."[٥٧] فقال: "فإماطة الأذى عن الطريق أو إنارته وتسويته تدخل في قواعد تنظيم الخدمات والمرافق العامة، فإدراجها تحت مفهوم الإيمان لبيان مزيد من الاهتمام بها، وإيجاد الحوافز والدوافع الذاتية للقيام بها."[٥٨]

ث. إعمال المقاصد العليا الحاكمة في الواقع المعيش يثمر نهوضاً حضارياً في مختلف الأصعدة. وفي هذا المعنى يقول فتحي ملكاوي: "لو تحقق الجمع بين التوحيد والتزكية والعمران سوف تصبح الآيات الكونية، والآيات النفسية، والآيات الاجتماعية، والآيات التاريخية، وكل آيات القرآن الكريم عناوين لموضوعات التفكر والتدبر والاعتبار، وموضوعات للمشاريع البحثية المتعمقة التي توسع فضاءات العلم يوماً بعد يوم، وتجعل الأُمة المسلمة في موقع الخيرية والقيادة والريادة."[٥٩]

٦. مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران عند جاسر عودة:

دعا جاسر عودة في كثير من كتاباته المتخصصة في مقاصد الشريعة إلى إعادة النظر بإخراج مقاصد الشريعة من تصورها التقليدي إلى ما يسمى رؤية العالم، عن طريق تبنيه علم المنظومات، مستفيداً من سمات فلسفة المنظومات، مثل: المعرفية، والشمولية، وتعدد الأبعاد، والانفتاح، والغائية.[٦٠] فقد دعا -ضمن هذه الرؤية- في بحثه: "الاجتهاد في تصور مقاصد الشريعة: نظرية الضرورات نموذجاً" إلى إعادة صياغة مقاصد الشريعة

---

[٥٧] ابن الحجاج، مسلم. **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان، حديث رقم٣٥، ج١، ص٦٣.

[٥٨] العلواني، **مقاصد القرآن**، مرجع سابق، ص١٨٣.

[٥٩] ملكاوي، فتحي. **مختصر البناء الفكري: مفهومه، ومستوياته، وخرائطه**، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٦م، ص٢٢.

[٦٠] عودة، جاسر. **مقاصد الشريعة كفلسفة للتشريع الإسلامي: رؤية منظومية**، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٢م. انظر مراجعة كاملة للكتاب في:

- **مجلة إسلامية المعرفة**، العدد٧٩/ شتاء ٢٠١٥م، بحث ماهر حصوة، ص١٧٥-١٩٠.

المتعلقة بالضروريات الخمس ضمن رؤية العالم وحاجاته الحضارية بالانتقال من حفظ النسل في إطاره التقليدي إلى مفهوم بناء الأسرة، ومن حفظ المال إلى التنمية الاقتصادية، ومن حفظ النسل والعرض إلى حفظ حقوق الإنسان، ومن حفظ العقل إلى نماء الملكات العقلية والفكرية، ومن حفظ الدين إلى كفالة الحريات الدينية.[٦١]

وقد بنى عودة على ما جاء في بحث سيف الدين عبد الفتاح تحت عنوان "نحو تفعيل النموذج المقاصدي في المجال السياسي والاجتماعي" إلى: مقاصد الشريعة الإسلامية: دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق"؛ إذ رأى عبد الفتاح أن المقاصد الكلية ليست إلا صياغة لمفهوم متكامل للتنمية من منظور حضاري. فقد اقتنص عودة هذه الفكرة، وبنى عليها، وعَدَّها إضافة قيِّمة تحتاج إلى بحث وتأصيل حتى تُربَط بالنصوص الشرعية، وتُفسَّر بها مصطلحات المقاصد تفسيراً جديداً، أو تكون سبيلاً لتقديم مصطلحات مقاصدية جديدة أقرب إلى رؤية العالم فيما يصلح للناس.[٦٢]

والإضافة التي اقترحها الباحث في هذا السياق تتمثل في أن تقارير الأمم المتحدة – في الأعوام الأخيرة– تفيد بأن معظم الدول الإسلامية (تمثل ٩٠% من إجمالي عدد المسلمين) تُصنَّف ضمن مستوى أقل من المتوسط بحسب مقياس التنمية البشرية (يمثل المفهوم الأوسع من التنمية الاقتصادية) الذي تستخدمه لجنة التنمية في الأمم المتحدة ضمن تدرجات عدَّة لمستويات الصحة، ومحو الأمية، والمشاركة السياسية، وتفعيل دور المرأة، وسلامة البيئة، إضافةً إلى مستوى المعيشة. وبناءً على هذه المرونة التي يتمتع بها مصطلح المقاصد، فإنه يمكن صياغة مقصد للتنمية البشرية يكون له تميزه بإضافة مقاييس إسلامية تُعبِّر عن قيم الإسلام الأصيلة.[٦٣]

وهذه الإضافة التي اقترحها عودة أرى أنها تمثل معياراً واقعياً لمقصد العمران (ضمن مقاصد القرآن)؛ ما يؤكد أن إظهار مقاصد القرآن العليا يعد وسيلة تواصل حضاري، ويعزز المشترك الإنساني، فلا أحد يختلف على أهمية النهوض بمستوى المعيشة، وحقوق المرأة، والتعليم، والصحة، وسلامة البيئة، إلى غير ذلك مما جاء في معايير قياس التنمية

[٦١] عودة، **الاجتهاد المقاصدي من التصور الأصولي إلى التنزيل العملي**، مرجع سابق، ص١٥-٣٠.

[٦٢] المرجع السابق، ص٢٤.

[٦٣] عودة، **الاجتهاد المقاصدي من التصور الأصولي إلى التنزيل العملي**، مرجع سابق،ص٢٥.

البشرية، من دون إغفال أثر المساهمة الفكرية في تعزيز تلك المعايير وتقويمها بالحوار والإقناع من منطلق الثوابت والقيم الإسلامية، مع احترام الجانب الثقافي لكل أُمة.

ثالثاً: مقصد تقويم الفكر عند المعاصرين

يعد تقويم الفكر أحد تفرعات مقاصد القرآن في العمران. وفي نظرة متفحصة للآيات القرآنية التي تدعو إلى التفكير، والتعقل، والتذكر، والتبصر، والنظر، والاعتبار، والتفقه، ومخاطبة أولي الألباب؛ نجد أن عددها (٦٩٦) آية، ورد فيها ذكر لذلك (٦٧٨) مرة، بنسبة (١٠,٣%)، وهذه النسبة هي نسبة عالية لمنهاج احتوى الحياة كلها.[٦٤]

وقد اهتم المعاصرون بتجلية هذا المقصد؛ إذ أفرد له محمد عوام بحثاً سمَّاه "مقصد إصلاح التفكير الإنساني في القرآن"، ومن جملة ما جاء فيه قوله: "وقد تحصَّل لديَّ مما سبق أن القرآن المجيد له قصد في إصلاح التفكير الإنساني عن طريق النظر والتفكر، فهو بذلك يؤسس لمنهج النظر العقلي المبني على الاستدلال، وعلاقة الشاهد بالغائب، وكيفية الانتقال من المحسوس إلى الاستدلال به على الغائب، والمقصود من ذلك كله معرفة الخالق جل جلاله، كما يؤسس في الوقت ذاته من خلال حكاية قصص الأولين منهجاً للتاريخ مبنياً على المقايسة من أجل الاعتبار والاتعاظ."[٦٥]

ومن جميل استدلالات عوام ما ذهب إليه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ (الأنبياء: ٥١) في بيان معنى الرشد؛ إذ قال: "ذهب المفسرون في ذلك -تفسير معنى الرشد- مذاهب شتى، والذي تحصَّل لي من ذلك، ومن تجديد النظر والتأمل في مناظرة إبراهيم لقومه، أنه رشد المنهج، وسداد التفكير، وهذا ما يومئ إليه لفظ الرشد في هذا السياق... فقد لقَّن الله نبيه إبراهيم الحجة، وعلَّمه كيفية الاحتجاج والاستدلال، وفيه تنبيه إلى أن من مقاصد القرآن الكريم أن يرشد الناس، ويُعلِّمهم الحجج وطرق الاستدلال، ويفتح عقولهم على كيفية استعمال

[٦٤] نجادت، أحمد محمد، والعمري، حسن محمد. "مضامين التفكير وضوابطه واستراتيجيات تنميته في القرآن"، **مجلة العلوم الشرعية**، جامعة القصيم، مج٧، عدد٢، فبراير ٢٠١٤م، ص٨٤٩.

[٦٥] عوام، محمد. "مقصد إصلاح التفكير الإنساني في القرآن الكريم"، **مؤتمر مقاصد القرآن الكريم**، تحرير: محمد سليم العوا، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة، ط١، ٢٠١٦م، ص٥٤٩.

الحجج والبراهين، ثم هم –بالعقول التي ركزت فيهم، وبفطرهم السليمة– سيهتدون إلى غيرها من الطرق العلمية، أو يبنون عليها، وينشئون ويبتكرون مسالك جديدة تؤدي الغرض نفسه."[٦٦]

١. مقصد تقويم الفكر عند محمد رشيد رضا:

تناول محمد رشيد رضا هذا المقصد عند تفصيله المقصد الثالث من مقاصد القرآن بقوله: "إكمال نفس الإنسان من الأفراد والجماعات والأقوام بجعل الإسلام دين الفطرة السليمة، والعقل والفكر، والعلم والحكمة، والبرهان والحجة، والضمير والوجدان، والحرية والاستقلال."[٦٧] ومعلوم أن القرآن الكريم إذ يُبيِّن مكانة الفطرة والحكمة والعقل والفكر والعلم والبرهان... فإنما قصده في ذلك تثبيت هذه المكانة، والحث على رعايتها، وتحصيل مفعولها.

وقد نقل محمد رشيد رضا عن شيخه الإمام محمد عبده المقصود بالحكمة، فقال: "وَالْمُرَادُ بِإِيتَائِهِ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ– إِعْطَاؤُهُ آلَتُهَا الْعَقْلُ كَامِلَةً مَعَ تَوْفِيقِهِ لِحُسْنِ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْآلَةِ فِي تَحْصِيلِ الْعُلُومِ الصَّحِيحَةِ؛ فَالْعَقْلُ هُوَ الْمِيزَانُ الْقِسْطُ الَّذِي تُوزَنُ بِهِ الْخَوَاطِرُ وَالْمُدْرَكَاتُ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ أَنْوَاعِ التَّصَوُّرَاتِ وَالتَّصْدِيقَاتِ، فَمَتَى رَجَحَتْ فِيهِ كِفَّةُ الْحَقَائِقِ طَاشَتْ كِفَّةُ الْأَوْهَامِ، وَسَهُلَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْوَسْوَسَةِ وَالْإِلْهَامِ."

أَقُولُ (أي محمد رشيد رضا): "وَهَذَا الْقَوْلُ يَتَّفِقُ مَعَ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ أَنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ الْفِقْهُ فِي الْقُرْآنِ؛ أَيْ مَعْرِفَةُ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى، وَالْأَحْكَامِ بِعِلَلِهَا وَحِكَمِهَا؛ لِأَنَّ هَذَا الْفِقْهَ هُوَ أَجَلُّ الْحَقَائِقِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي النَّفْسِ الْمَاحِيَةِ لِمَا يَعْرِضُ لَهَا مِنَ الْوَسَاوِسِ حَتَّى لَا تَكُونَ مَانِعَةً مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ فَقِهَ مَا وَرَدَ فِي الْإِنْفَاقِ وَفَوَائِدِهِ وَآدَابِهِ مِنَ الْآيَاتِ لَا يَكُونُ وَعْدُ الشَّيْطَانِ لَهُ بِالْفَقْرِ وَأَمْرُهُ إِيَّاهُ بِالْبُخْلِ مَانِعًا لَهُ مِنْهُ، وَلَكِنَّ الْفِقْهَ فِي الْقُرْآنِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِكَمَالِ الْعَقْلِ وَحُسْنِ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْفَهْمِ وَالْبَحْثِ عَنْ فَوَائِدِ الْأَحْكَامِ وَعِلَلِهَا وَدَلَائِلِ الْمَسَائِلِ وَبَرَاهِينِهَا، فَالْخَبَرُ: فَسَّرَ الْحِكْمَةَ بِالْأَخَصِّ؛ رِعَايَةً

[٦٦] المرجع السابق، ص٥٤٠–٥٤١ بتصرف.

[٦٧] رضا، **الوحي المحمدي**، مرجع سابق، ص٢٥٧.

لِلْمَقَامِ. وَالْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ فَسَّرَهَا بِالْأَعَمِّ؛ بَيَاناً لِشُمُولِ هِدَايَةِ الْقُرْآنِ. فَالْآيَةُ بِإِطْلَاقِهَا رَافِعَةٌ لِشَأْنِ الْحِكْمَةِ بِأَوْسَعِ مَعَانِيهَا، هَادِيَةً إِلَى اسْتِعْمَالِ الْعَقْلِ فِي أَشْرَفِ مَا خُلِقَ لَهُ. وَمَنْ رُزِئَ بِالتَّقْلِيدِ كَانَ مَحْرُوماً مِنْ ثَمْرَةِ الْعَقْلِ وَهِيَ الْحِكْمَةُ، مَحْرُوماً مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ لِصَاحِبِ الْحِكْمَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩)، فَيَكُونُ كَالْكُرَةِ تَتَقَاذَفُهُ وَسْوَسَةُ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَجَهَالَةُ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ قَدْ يَسْتَغْنِي بِعُقُولِ النَّاسِ عَنْ عَقْلِهِ... ."[٦٨]

٢. مقصد تقويم الفكر عند ابن عاشور:

يظهر اهتمام ابن عاشور بهذا المقصد جلياً في كثير مما سطره؛ إذ:

أ. ذكر في المقصد الأول من مقاصد القرآن التي دل عليها استقراؤه أهمية الاستناد إلى الدليل، فقال: "صَلَاحُ الِاعْتِقَادِ وَتَعْلِيمُ الْعَقْدِ الصَّحِيحِ، وَهَذَا أَعْظَمُ سَبَبٍ لِإِصْلَاحِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ يُزِيلُ عَنِ النَّفْسِ عَادَةَ الْإِذْعَانَ لِغَيْرِ مَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ، وَيُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الْأَوْهَامِ... ."[٦٩]

ب. ذكر في المقصد السادس ما يؤكد أن من مقاصد القرآن الأساسية تقويم الفكر: "التَّعْلِيمُ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَةَ عَصْرِ الْمُخَاطَبِينَ، وَمَا يُؤَهِّلُهُمْ إِلَى تَلَقِّي الشَّرِيعَةِ وَنَشْرِهَا، وَذَلِكَ عِلْمُ الشَّرَائِعِ، وَعِلْمُ الْأَخْبَارِ، وَكَانَ ذَلِكَ مَبْلَغَ عِلْمِ مُخَالِطِي الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَدْ زَادَ الْقُرْآنُ عَلَى ذَلِكَ تَعْلِيمَ حِكْمَةِ مِيزَانِ الْعُقُولِ، وَصِحَّةِ الِاسْتِدْلَالِ فِي أَفَانِينِ مُجَادَلَاتِهِ لِلضَّالِّينَ، وَفِي دَعْوَتِهِ إِلَى النَّظَرِ، ثُمَّ نَوَّهَ بِشَأْنِ الْحِكْمَةِ، فَقَالَ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (الْبَقَرَة: ٢٦٩)، وَهَذَا أَوْسَعُ بَابٍ انْبَجَسَتْ مِنْهُ عُيُونُ الْمَعَارِفِ، وَانْفَتَحَتْ بِهِ عُيُونُ الْأُمِّيِّينَ إِلَى الْعِلْمِ، وَقَدْ لَحِقَ بِهِ التَّنْبِيهُ الْمُتَكَرِّرُ عَلَى فَائِدَةِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يَطْرُقْ أَسْمَاعَ الْعَرَبِ مِنْ قَبْلُ، إِنَّمَا قُصَارَى عُلُومِهِمْ أُمُورٌ تَجْرِيبِيَّةٌ، وَكَانَ حُكَمَاؤُهُمْ أَفْرَادًا اخْتُصُّوا بِفَرْطِ ذَكَاءٍ تُضَمُّ إِلَيْهِ تَجْرِبَةٌ وَهُمُ الْعُرَفَاءُ، فَجَاءَ الْقُرْآنُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣)، (﴿قُلْ

---

[٦٨] رضا، محمد رشيد. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج٣، ص٦٤.

[٦٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج١، ص٤٠.

هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)، وَقَالَ: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ (الْقَلَم: ١)، فَنَبَّهَ إِلَى مَزِيَّةِ الْكِتَابَةِ."[٧٠]

ت. ذكر في مقدمته ثمانية مقاصد دل عليها استقراؤه. وعند تفسيره الآية السابعة من سورة آل عمران استدرك ليضيف مقصدين بقوله: "على أَنَّ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ: أَحَدُهُمَا كَوْنُهُ شَرِيعَةً دَائِمَةً، وَذَلِكَ يَقْتَضِي فَتْحَ أَبْوَابِ عِبَارَاتِهِ لِمُخْتَلِفِ اسْتِنْبَاطِ الْمُسْتَنْبِطِينَ، حَتَّى تُؤْخَذَ مِنْهُ أَحْكَامُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَثَانِيهِمَا تَعْوِيدُ حَمَلَةِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَعُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، بِالتَّنْقِيبِ، وَالْبَحْثِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْمَقَاصِدِ مِنْ عَوِيصَاتِ الْأَدِلَّةِ، حَتَّى تَكُونَ طَبَقَاتُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ صَالِحَةً -فِي كُلِّ زَمَانٍ- لِفَهْمِ تَشْرِيعِ الشَّارِعِ وَمَقْصِدِهِ مِنَ التَّشْرِيعِ، فَيَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ التَّشْرِيعِيَّةِ، وَلَوْ صِيغَ لَهُمُ التَّشْرِيعُ فِي أُسْلُوبٍ سَهْلِ التَّنَاوُلِ لَاعْتَادُوا الْعُكُوفَ عَلَى مَا بَيْنَ أَنْظَارِهِمْ فِي الْمُطَالَعَةِ الْوَاحِدَةِ. مِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَتْ صَلُوحِيَّةُ عِبَارَاتِهِ لِاخْتِلَافِ مَنَازِعِ الْمُجْتَهِدِينَ قَائِمَةً مَقَامَ تَلَاحُقِ الْمُؤَلِّفِينَ فِي تَدْوِينِ كُتُبِ الْعُلُومِ، تَبَعاً لِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْعُصُورِ."[٧١]

ث. أشار إلى مسائل تتعلق بمقصد تقويم الفكر في ثنايا تفسيره الآيات القرآنية، مثل:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ (الإسراء: ٣٦). يقول ابن عاشور مستدلاً على البناء على الثابت، وعدم الاستناد إلى الموهوم: "هَذَا أَدَبٌ خُلُقِيٌّ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَيْضاً إِصْلَاحٌ عَقْلِيٌّ جَلِيلٌ يُعَلِّمُ الْأُمَّةَ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ مَرَاتِبِ الْخَوَاطِرِ الْعَقْلِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يَخْتَلِطُ عِنْدَهَا الْمَعْلُومُ وَالْمَظْنُونُ وَالْمَوْهُومُ. ثُمَّ هُوَ أَيْضاً إِصْلَاحٌ اجْتِمَاعِيٌّ جَلِيلٌ يُجَنِّبُ الْأُمَّةَ مِنَ الْوُقُوعِ وَالْإِيقَاعِ فِي الْأَضْرَارِ وَالْمَهَالِكِ مِنْ جَرَّاءِ الِاسْتِنَادِ إِلَى أَدِلَّةٍ مَوْهُومَةٍ."[٧٢]

- قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ (الكهف: ٧٩). يقول ابن عاشور بما يدلل على جواز ارتكاب أخف الضررين لاجتناب أشدهما، أو ما يمكن تسميته فقه الموازنات: "تَصَرُّفُ

[٧٠] المرجع السابق، ج١، ص٤١.
[٧١] المرجع السابق، ج٣، ص١٥٨.
[٧٢] المرجع السابق، ج١٥، ص١٠١.

الْخَضِرِ فِي أَمْرِ السَّفِينَةِ تَصَرُّفٌ بِرَعْيِ الْمصْلِحَةِ الْخَاصَّةِ عَنْ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ بِالتَّصَرُّفِ فِي مَصَالِحِ الضُّعَفَاءِ إِذْ كَانَ الْخَضِرُ عَالِماً بِحَالِ الملكِ، أَوْ كَانَ اللَّهُ أَعْلَمَهُ بِوُجُودِهِ حِينَئِذٍ، فَتَصَرَّفُ الْخَضِرِ قَائِمٌ مَقَامَ تَصَرُّفِ الْمَرْءِ فِي مَالِهِ بِإِتْلَافِ بَعْضِهِ لِسَلَامَةِ الْبَاقِي، فَتَصَرُّفُهُ الظَّاهِرُ إِفْسَادٌ وَفِي الْوَاقِعِ إِصْلَاحٌ لِأَنَّهُ مِنِ ارْتِكَابِ أَخَفِّ الضَّرَرَيْنِ."[٧٣]

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٢٨﴾﴾ (الأعراف: ٢٨). يقول ابن عاشور في معرض ما يُقبَل ويُرفَض في الاستدلال: "دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى إِنْكَارِ مَا كَانَ مُمَاثِلاً لِهَذَا الِاسْتِدْلَالِ، وَهُوَ كُلُّ دَلِيلٍ تَوَكَّأَ عَلَى اتِّبَاعِ الْآبَاءِ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرِ فَسَادُهَا وَفُحْشُهَا، وَكُلُّ دَلِيلٍ اسْتَنَدَ إِلَى مَا لَا قِبَلَ لِلْمُسْتَدِلِّ بِعِلْمِهِ."[٧٤]

٣. مقصد تقويم الفكر عند علال الفاسي:

يرى علال الفاسي أن وسيلة تحقيق مقاصد القرآن هي تقويم الفكر؛ إذ قال: "والقصد العام من نزول القرآن هو هداية الخلق وإصلاح البشرية وعمارة الأرض، وطريقته لذلك هي التربية بالحكمة والتعليم بالإرشاد لمصادر المعرفة، فهو يدعو قبل كل شيء إلى توحيد الله سبحانه والاعتقاد في ألوهيته، ويصلح كل ما فسد من عقائد الدين، وينفي كل تحريف وقع في شرائع الأنبياء، مقيماً على ذلك من الحجج العقلية والبراهين الكونية ما يفتح الفكر والنظر، وما يزيل عن بصيرة الإنسان كل غواية وضلال، ويعلم الإنسان عدم قبول ادعاء ما لم يقم عليه دليل، وتلك أعظم الخطوات في تحرير الإنسان، ورفع مستواه العقلي والاجتماعي."[٧٥]

٤. مقصد تقويم الفكر عند سيد قطب:

اهتم سيد قطب اهتماماً كبيراً بمقصد تقويم الفكر، وبناء منهج التفكير السليم، وقد ظهر ذلك جلياً في معرض تفسيره آيات القرآن الكريم، ومن ذلك:

---

[٧٣] المرجع السابق، ج١٦، ص١٢.

[٧٤] المرجع السابق، ج٨، ص٨٤.

[٧٥] الفاسي، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، مرجع سابق، ص٨٨.

- قوله تعالى: ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ (البقرة: ١٨٩). يقول قطب في بيان أهمية التركيز على الجانب العملي والتطبيقي، ومخاطبة الناس بحسب قدراتهم وإمكانياتهم: "اتجه -جواب السؤال- إلى واقع حياتهم العملي لا إلى مجرد العلم النظري، وحدَّثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم، ولم يُحدِّثهم عن دورة الفلكية للقمر، وكيف تتم. وهي داخلة في مدلول السؤال: ما بال القمر يبدو هلالاً؟... كذلك لم يُحدِّثهم عن وظيفة القمر في المجموعة الشمسية، أو في توازن حركة الأجرام السماوية. وهي داخلة في مضمون السؤال: لماذا خلق الله الأهلة؟... والسبب في ذلك -حسب رأيه- أن العلم النظري من هذا الطراز في حاجة إلى مقدمات طويلة، كانت تعد بالقياس إلى عقلية العالم كله في ذلك الزمان معضلات، من هنا عدل عن الإجابة التي لم تتهيأ لها البشرية."[٧٦]

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء: ٣٦). يُبيِّن قطب أن هذه الآية الكريمة قد اشتملت على المنهج العلمي القائم على البرهان والتثبت الذي يرفض الاستناد إلى الوهم والخرافة والظن والحدس، قائلاً: "هذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة! فالتثبت من كل خبر، ومن كل ظاهرة، ومن كل حركة قبل الحكم عليها، هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق. ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبقَ مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبقَ مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبقَ مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم."[٧٧]

- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ (الأنعام: ١٤٨-١٤٩).

---

[٧٦] قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، القاهرة: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ، ج١، ص١٨٠.

[٧٧] المرجع السابق، ج٤، ص٢٢٢٧.

يقول قطب في بيان المنهج القرآني في تصحيح الفكر عند الرد على شبه المشركين بأن الله تعالى جبرهم على الشرك، وكيف أنه رد عليهم بأن الأمر –على افتراض صدق ما يدعون– يتنافى مع عدله، ولا سيما في حال تعذيب الأقوام السابقة: "اللمسة الثانية كانت بتصحيح منهج الفكر والنظر... إن الله أمرهم بأوامر، ونهاهم عن محظورات... وهذا ما يملكون أن يعلموه علماً مستيقناً... فأمَّا مشيئة الله فهي غيب لا وسيلة لهم إليه، فكيف يعلمونه؟ وإذا لم يعلموه يقيناً فكيف يحيلون عليه: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٨)... إن لله أوامر ونواهي معلومة علماً قطعياً، فلماذا يتركون هذه المعلومات القطعية، ليمضوا وراء الحدس والخرص في وادٍ لا يعلمونه؟"[٧٨]

٥. مقصد تقويم الفكر عند أحمد الريسوني:

عَدَّ الريسوني مقصد تقويم الفكر أحد المقاصد الستة التي يرى أن القرآن الكريم جاء يتغياها، وذكر جملة من مظاهر اهتمام القرآن الكريم بهذا المقصد، منها:

أ. الحكمة ببُعْدها المنهجي ما هي إلا الفهم السديد السوي للأمور، والعمل بمقتضى ذلك؛ فالحكمة هي إتقان العلم والعمل، وتنزيل الأقوال والأحكام والأفعال في مواضعها المناسبة؛ ما يجعلها تعبيراً جامعاً عن المنهج القويم الذي بُعِث الأنبياء كافةً لبثه وتثبيته.[٧٩] وهذا المعنى ذُكِر في آيات كثيرة، منها: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ (آل عمران: ١٦٤).

ب. دعوة القرآن الكريم إلى عدم الحكم على شيء إلا بدليل.

ت. دعوة القرآن الكريم إلى استعمال الأفئدة والحواس.

ث. اعتماد القرآن الكريم منهج ضرب الأمثال الذي يُعلِّم الناس الانتقال بفكرهم من الخاص إلى العام، ومن المُعيَّن إلى المُجرَّد، ومن الجزئي إلى الكلي.

---

[٧٨] المرجع السابق، ج٣، ص١٢٢٧.

[٧٩] الريسوني، **مقاصد المقاصد**، مرجع سابق، ص٢١.

ج. تنبيه القرآن الكريم على مواطن الخلل في منهجية التفكير، وهي: التبعية والتقليد، واتباع الخرص والظن، والتسوية بين المختلفات، والتفريق بين المتماثلات.[٨٠]

خاتمة:

بيَّن البحث أن مقاصد القرآن هي الغايات الكلية التي أُنزل القرآن الكريم لأجلها، وأنه يوجد تباين في تحديد تلك المقاصد نتيجة الخلط بين مصطلح "المقاصد" بهذا المعنى والمعنى الآخر، وهو محاور (أو موضوعات) القرآن الكريم. وعند التحقيق نجد أن هذه المقاصد تتمثل في التوحيد والتزكية والعمران، وأن هذه الأسس –التي تعد أشبه بالساق من الشجرة– هي موضع اتفاق في كتابات المعاصرين، وإن كانت بمسميات أخرى.

وقد أكد البحث أهمية مقاصد القرآن في النسق المعرفي والحضاري؛ إذ تمثل مقاصد القرآن مرجعاً دستورياً، ومنطلقاً لتكوين الرؤية الكلية للرسالة في بُعْدها الإنساني الحضاري، ومُوجِّهاً ومُقوِّماً للإطار المعرفي والبحثي، ومشتركاً إنسانياً يُسهِم في التفاعل الحضاري.

وتوصل البحث إلى أن البناء الحضاري والعمران ليس ترفاً فكرياً، أو موضوعاً هامشياً، وإنما هو مقصد أساسي من مقاصد القرآن يدخل في مفهوم الإيمان والعبادة، ويمثل إحدى صور العبادة المجتمعية كما جاء عند كثير من المعاصرين. وقد ركَّزت موضوعات القرآن الكريم على إعداد الإنسان، وجعلت وظيفته القيام بأعباء الاستخلاف والإعمار عن طريق اكتشاف سنن التسخير، وحسن التعامل معها.

ولا شك في أن إعمال المقاصد القرآنية في الواقع المعيش كفيل بأن يُحقِّق نهوضاً حضارياً؛ ما يُحتِّم على النخب العلمية والفكرية إعادة الصياغة والتفريع لمقاصد القرآن في

---

[٨٠] المرجع السابق، ص٢١–٢٥. وقد أشار إلى بعض هذه المظاهر يوسف القرضاوي في كتابه "العقل والعلم في القرآن"، ضمن عنوان: "تكوين العقلية العلمية في القرآن"؛ إذ ذكر من مقومات هذه العقلية: ١– رفض الظن في موقع اليقين. ٢– عدم اتباع الأهواء والعواطف. ٣– رفض التقليد الأعمى للآباء والأسلاف. ٤– إنكار التبعية للسادة والكبراء. ٥– لا تقبل دعوى بغير برهان. انظر:
– القرضاوي، يوسف. **العقل والعلم في القرآن**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٤٩–٢٦٥.

ظل رؤية العالم، لتجد تلك المقاصد مكانها في التنمية البشرية، وتمنح معالم ديننا الحنيف بُعْداً حضارياً، وتُسهِم في البناء الإنساني.

وأمَّا تقويم الفكر فيمثل إحدى صور مقاصد القرآن التي تتعلق بالجانب العمراني، والتي تتمثل في بناء الفكر الإنساني ليكون فكراً سليماً قادراً على البناء، بحيث يُعلِّم المنهجية السننية، ويبني المنهجية العلمية، ويعالج مواطن الخلل في منهجية التفكير. وقد تجلَّى هذا المقصد في كثير من كتابات المعاصرين؛ سواء في تأصيل ذلك ضمن تفرعات المقاصد، أو في معرض تفسير الآيات القرآنية التي بنت المنهجية العلمية، أو بيَّنت مواطن الخلل فيها.

ختاماً، فإن إعادة صياغة مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة في ظل رؤية العالم تمثل تحدياً من تحديات المرحلة الحالية التي تخرج هذه المقاصد من الإطار التقليدي إلى التفاعل الحضاري؛ ما يجعلها جديرة بالاهتمام من الدراسات المستقبلية، وكذا الحال بالنسبة إلى عملية الإسهام في تنمية مفهوم "التنمية البشرية"، وجعله معياراً للتقدم الحضاري؛ إذ يلزمها المزيد من الاهتمام والدراسة والبناء عليها، إلى جانب المجامع الفقهية والفكرية التي يتعيَّن عليها إعداد رؤية كونية موحدة بناءً على مقاصد القرآن لترسيخ الفكرة الحضارية للإسلام.